JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ
العدد الرابع
(١٧)- (٤٢)

شعر أبي جعفر بن الابار دراسة موضوعية فنية

أ.د. رباب صالح حسن
الجامعة المستنصرية -كلية التربية
drrabab03@jmail.com

الملخص :

تحاول هذه المداخلة تسليط الضوء على شاعر من شعراء الاندلس كان شعره صورة للبيئة التي عاش فيها، ويمكن دراسة هذا الشعرعلى وفق منهجيات متعددة، لكنني اخترت الدراسة الموضوعية لأنها شاملة الجوانب فضلاً عن حرية تحركي في المساحات الممنوحة في تفسير الظواهر وفق المناهج السياقية من تاريخ أدب، وعلم اجتماع، وقضايا خارج النص أثرت في النص وصاحبه، وستكون الدراسة على وفق محاور :

المحور الاول : في الحياة والنشأة وظروف العصر

المحور الثاني : الدراسة الموضوعية

المحور الثالث : الدراسة الفنية

وضمن كل محور تُدرس قضايا سواء كانت موضوعية أو فنية.

ستعتمد المداخلة المنهج الوصفي التحليلي والاعتماد على الشواهد الشعرية بوصفها إجراء تطبيقيا في توضيح القضايا المدروسة .

ونعتمد مجموع شعر الشاعر الذي جمعته المحققة الاندلسية أ.د. هدى شوكت بهنام، أ. د. رباب صالح حسن .

الكلمات المفتاحية: الشعر، ابن الابار، دراسة موضوعية، دراسة فنية

The poetry of Abi Jaafar bin Al-Abar, an artistic objective study

Prof. Dr. Rabab Salih Hassan
Al-Mustansiriya University - College of Education
drrabab03@jmail.com

Abstract:

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

This intervention attempts to shed light on one of the poets of Andalusia, whose poetry was a picture of the environment in which he lived, This poetry can be studied according to several methodologies, But I chose the objective study because it is comprehensive in addition to the freedom of movement in the spaces granted in the interpretation of phenomena according to contextual approaches from the history of literature, sociology, and issues outside the text that affected the text and its owner, The study will be based on the following topics:

The first axis: On life, upbringing and the circumstances of the age.

The second axis: the objective study.

The third axis: the technical study.

Within each axis, issues, whether substantive or technical, are studied.

The intervention will adopt the descriptive analytical approach and rely on poetic evidence as an applied procedure in clarifying the issues studied.

And we adopt the total poetry of the poet compiled by the Andalusian investigator, Prof. Dr. Hoda Shawkat Behnam, Prof. Dr. Rabab Saleh Hassan.

Keywords: poetry, Ibn al-Abar, objective study, artistic study

أولاً: في النشأة:

قبل الدخول في تفاصيل شعر الشاعر لا بد لنا من التعريج على اسمه واختلاط ذلك الاسم مع اسم علم أندلسي أخر وكيف سيكون للنشأة والبيئة من أثر في توجيه بعض موضوعات الشاعر فهو أبو جعفر احمد بن محمد الخولاني الأندلسي الاشبيلي المعروف بابن الابار.

والأبار بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحدة وبعد الالف راء. والخولاني بفتح الخاء وسكون الواو، نسبة إلى خولان بن عمرو وهي قبيلة نزلت الشام. أما الاشبيلي فنسبه إلى أشبيلية أعظم بلاد الاندلس (ابن خلكان، ٢٠٠٩: ١/٧٩).

وعليه فهو غير أبي عبد الله بن الأبار الشاعر والكاتب المعروف صاحب كتابي الحلة السّيراء والتكملة (ابن الابار، ٢٠١٣: ١١).

لم تذكر المصادر سنة ولادته بل اقتصرت المصادر على ذكر أنه من أعلام القرن الخامس الهجري وأنه ولد في أشبيلية، وأنه من شعراء المعتضد بن عباد صاحب أشبيلية(ابن خلكان، ٢٠٠٩:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

٧٩/١)، ويذكر أنه كان ينتمي لأسرة غنية، فلم يمدح ليكسب قدر مدحه لحفظ مكانته الاجتماعية عند اصحاب الأمر ولتقديم ولائه وإخلاصه (ابن الابار، ٢٠١٣: ١٤).

وكان من أصدقائه المقربين ابو عامر بن مسلمة الذي كان صديقاً مقرباً من الشاعر وكانا يتبادلان الرسائل الشعرية الودية فهو على شاكلة ابن الابار في الانتماء الاسري، وفي ميلهما للمعاني الشعرية نفسها من غزل رقيق وولع بوصف الطبيعة وفي هذا يقول د. صلاح خالص: ((هؤلاء الأغنياء يعيشون في عالم خاص بعيد عن حياة الناس ومشاكلهم خلفته لهم ظروف حياتهم الميسرة وقد عرض لنا صوراً من هذا العالم الخاص فيما وصلنا من اشعاره ونتاجه)) (خالص، ١٩٦٥: ١٦١).

ومن أصدقائه أيضاً أبو الوليد الحميري صاحب كتاب ((البديع في وصف الربيع)) (الحميري، ١٩٩٧) ويذكر ابن بسام في الذخيرة أن ابن الأبار هو الذي صقل موهبة الحميري حتى غدا ذا موهبة فائقة (الشنتيري، ١٩٧٨، مج ١: ١٢٥).

توفي ابن الابار سنة ٤٣٣ هـ(ابن خلكان، ٢٠٠٩: ٧٩/١) وابرز ما قيل فيه وفي شعره:

قال عنه ابن بسام في الذخيرة بأنه: ((عني بالعلم فجمع وصنف وله في صناعة النظم فضل لا يرد وإحسان لا يعد وقد كتبت طرفاً مما أبدع ليكون أعدل شاهد على أنه تقدم وبرع)) (الشنتيري، ١٩٧٨، مج ١: ١٣٥) ومدحه العمري في المسالك فقال عنه: ((ناصبت همته النجم وناصفت الروض على شذاه إلا أنها كتمت ونم ما استلهمت سماؤه إلا أوراق بآلائها الجماد وأشرق بآلائها الرماد من نبعة ياس ما بها خور، ولا يعيبها إلا ما في العيون من حور لم يرتق لواحظه الرقاد ولا يطمح فيه أن تقاد)) (العمري، ١٩٨٨: ٣٠٤).

وقال ابن خلكان كان من ((المجيدين في فنونه وكان عالماً فجمع وصنف وله في صناعة النظم فضل لا يرد وإحسان لا يعد)) (ابن خلكان، ٢٠٠٩: ١٣٥/١) ومن المحدثين ذكره د. صلاح خالص بقوله لابد: ((أن نقدر مقدرة ابن الابار على الصياغة الشعرية التكنيك ورقة اسلوبه وحسن اختياره لألفاظه مما أحله مكاناً رفيعاً في الأدب لدى نقاد عصره)) (خالص، ١٩٦٥: ١٦٤).

وفي شعره ترى د. هدى شوكت جامعة ديوانه أنه أي- ابن الابار- شاعر ذو مقدرة جيدة ومقدرة على نظم الشعر في العديد من الاغراض التي شاعت في عصور ملوك الطوائف(ابن الابار، ٢٠١٣: ١٥).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

يقع ديوان الشاعر في ست وثلاثين منظومة بين قصيدة ومقطوعة بلغ عدد القصائد ١٧ قصيدة والمقطعات ١٩ مقطوعة يتراوح عدد ابياتها ما بين الستة إلى بيتين، أما مجموع الابيات الشعرية فبلغ ٢٥٣ بيتاً. والملاحظ أن أطول قصيدة في شعر الشاعر يبلغ عدد ابياتها واحداً وعشرين بيتاً، وهذا الأمر يفسر عدة تفسيرات منها أن الموضوع الذي يعالجه وإن كان مدحاً لا يستوجب ابياتاً كثيرة كتلك التي كنا نقرأها في قصائد المدح الجاهلي والأموي وحتى بعض قصائد المدح العباسي ذلك لأن الشاعر لم يكن يتكسب بشعره، هذا من جهة ومن جهة أخرى قد تكون بعض الابيات قد ضاعت أو نسبت لغيره من الشعراء من جهة ثانية.

ثانياً: شعر أبي جعفر بن الابار دراسة موضوعية تحليلية

لا يعنينا في هذا الجانب أن نتحدث عن جميع موضوعات الشاعر ومعانيه بل نتوقف عند ما شكل مهيمناً موضوعياً من جهة وتشخيص ما مثل جدة وتطوراً في شعر الشعراء الاندلسيين ومنهم ابن الأبار من جهة أخرى ليتماشى ذلك ومحاور المؤتمر.

وأبرز ما شكل شعر الشاعر من مهيمن موضوعي يسترعي الانتباه والتوقف هو:

أ- العفاف عند المقدرة:

إن العنوان يسترعي الانتباه ويحمل مفاجأة للقارئ، وهذا المعنى يتطرق إليه الشاعر اثناء غزله وخلال وصفه للقائه للحبيبة مع وصف رائع للطبيعة ومن المعلوم أن بيئة الاندلس غايرت في كثير من جوانبها طبيعة البيئة المشرقية وأن الفرد الاندلسي بطبيعته بدا مختلفاً بعض الشيء عن الفرد المشرقي ولاسيما في نظرته للأمور فلم تعد المرأة حبيسة الخيمة فقد كانت تخالط الرجال بل وأنها سعت في كثير من الاحيان إلى الافصاح عن مشاعرها للرجل وكانت هي المبادرة في هذا الجانب كما هو واضح في شعر ولادة بنت المستكفي وحفصة الفركونية.

ومع تلك الفسحة من الحرية وتلك الجرأة حدد من كتب في الغزل من المؤلفين الاندلسيين علاقة الحب بالاخلاق وابرز من يطالعنا في هذا الجانب ابن داوود الاصبهاني في كتاب الزهرة عند وضع عنواناً بارزاً للباب الثامن اطلق عليه ((من كان ظريفاً فليكن عفيفاً)) (عباس، ٢٠٠١: ١٢٧).

والملاحظ أن أول من أطلق هذا المصطلح على هذا الموضوع هو د. إحسان عباس عندما قال: ((الغزل في العصر الاندلسي كان يصور تياراً قوياً في شعر الحب الاندلسي، وجد قبل أن يكتب طوق الحمامة، إذ كانت علاقة الشعر بالاخلاق قد أخذت تتمدد لأعلى نحو رومنطيقي أعرابي، كما حدث في نسيب المشارقة ابان القصر العصر الاموي، بل على نحو من الايمان بالعفاف عند المقدرة

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

وأنه سمة اخلاقية ملازمة للفتوة نفسها تلك الفتوة النابعة أيضاً من النظرة الدينية)) (ابن حزم، ١٩٨٠: ١٩٤).

وقد تحددت تلك السمة الاخلاقية في كثير من قصائد الشاعر ومقطعاته، لكنها لم تكن هي الاتجاه الوحيد في شعره إذ أننا نلحظ أن الاتجاه الماجن العبثي كان حاضراً في شعره أيضاً وهذا ما ذهب إليه ابن حزم بأن للإنسان طبيعتين متضادتين أحدهما العقل الذي يشير إلى المقدرة إلى الخير ويحض عليه، والثانية النفس التي لا تشير إلا إلى الشهوات. والروح واصل بين هاتين الطبيعتين وموصل ما بينهما وحامل الالتقاء بهما)) (ابن حزم، ١٩٨٠: ١٩٤).

ومن الابيات التي تصور ذلك العفاف قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٥٦):

فوردت جنة نحره ... ونعيمها داني القطاف
وضممت ناعم عطفه ... ضم المضاف إلى المضاف
فورعت في حين الجنى ... وكففت عن فوق الكفاف
وعصيت سلطان الهوى ... وأطعت سلطان العفاف

فالشاعر يصور لقائه بالحبيبة في وصف رائع للطبيعة ولها وأنه كان قريباً أن يجني ثمرة ذلك اللقاء بما يريد لكنه تورع وشبه نفسه صورة رائعة من الكفاف بل فوق الكفاف وأنه عصى الهوى وأطاع سلطان العفاف في صورة ضدية جميلة تصور سمة أخلاقية وسمت شعر الغزل الأندلسي وفي موضوع أخر يقول(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٤-٣٥):

حتى إذا ما السُكر مال بعطفه ... وعنا بحكم الوصل في نشواته
هصرت يدي منه بغصن ناعمٍ ... لم أجن غير الحل من ثمراته
وأطعت سلطان العفاف تكرماً ... والمرء مجبول على عاداته

الملاحظ على موضوع العفاف عند المقدرة أن الشاعر يمهد له تمهيداً ينبي عن أثر البيئة الأندلسية في اشعارهم من خلال وصفه للطبيعة، ومن خلال مجالس الشرب واللهو فأنت لا تجد هذه المعاني أي العفاف عند المقدرة إلا في ثنايا الطبيعة والخمر، وكأن الشاعر يريد إبراز سلطان عفافه ومقدرته على ذلك العفاف في أشد اللحظات التي يكون سلطان الهوى حاضراً في نفس الانسان ويغريه بفعل المحرمات إلا أن عقل الشاعر وروحه ابت إلا أن تعف في هذه اللحظة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

والملاحظة الأخرى أن العفاف عند المقدرة لا يستغرق سوى بيت واحد ذلك أن الشاعر كما قلنا حاول التقديم لذلك المعنى بوصف الطبيعة ومجلس الشراب وكيف أن الحبيبة قد أخذ منها السكر كل مأخذ إلا أن الشاعر ظل واعياً ولم تتمكن الغواية من نفسه، واعتقد أن الشاعر احسن واجاد عندما توقف عند البيت الواحد في تصوير تلك المقدرة لأن إعجاب المتلقي وانتشاءه بمثل هذه الصورة المفاجئة بعد ذلك التقديم يكون قد وصل إلى ذروته، فلا حاجة إلى التغني بالنفس والفخر بها.

حقيقة لا نقول أن هذا المعنى جديد على الشعر الاندلسي، وأن الشعراء الاندلسيين هم من ابتدعوه فله بذوره في الشعر العربي المشرقي إلا أنه استقوى في بيئة الاندلس (بهجت، ١٩٨٧: ١٢٧-١٢٨) ، فقد كان الشاعر العربي القديم يفخر بنفسه أنه عفيف وأنه لا يخون وهذا من باب الفروسية والحماسة، وأن العفاف في أغلب الاحيان عند الشعراء المشارقة كان يتأتى من كونه الحبيبة بخيلة ومتمنعة ويصورها الشاعر بأنها حبيبة فلك أن تطالع قول الاحوص (الأنصاري، ١٩٩٨: ١٣٥):

وزادني كلفاً في الحب أن منعتْ ... وحب شيءٍ إلى الانسان ما منعا

وقول جميل بثينة (العذري، ١٩٦٧: ٢٥):

وإني لأرضى من بثينة بالذي ... لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا استطيع وبالمنى ... وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي ... أواخره لا نلتقي وأوائله

فأنت تلحظ أن الغزل العربي المشرقي وتحديداً الأموي كان يعاني الغربة والابتعاد والاشتياق لذلك لم يكن بالمعنى العفيف سلوكاً أو مذهباً بقدر ما كانت الظروف هي التي تحكم على هذا الغزل بإلباسه شيء من الوقار والعفة، إما إذا طالعنا شعر عمر بن أبي ربيعة فهو الشاعر المحقق الذي يبتغي المتعة كان واقعياً أكثر في تصوير علاقاته بل وكان صادقاً في تلك الواقعية إذ يقول (ابن ربيعة، ١٩٨٣):

فبت قرير العين أعطيت حاجتي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

أما بالنسبة للغزل الاندلسي ولا نقول بعامته وإنما ما توقفنا عنده فإنه يصور حديث الشاعر عن العفاف أو عن تمكنه من السيطرة على الشهوات وأنه أتخذ من ذلك مذهباً أدبياً وأنا اعتقد أن هذا الأمر نابع من تلك الروح الارستقراطية الباذخة التي تصور تهذيب النفس وقد لا تعني بالضرورة التعبير عن سمة اخلاقية كما يقول د. إحسان عباس أن فخر المشرقي بعفته وصونه للنساء الحي نابع من أخلاق يجدها تهذب فروسيته وتطير بذكره في حين أن أعلان الاندلسي لتلك السمعة هو إعلان لأخلاق تعد في جوهرها نابعة من الأرث المشرقي وفي ظاهرها تعبير عن تيار قد يكون رد فعلٍ عن تيار جارف أخر هو تيار المجون والعبث الذي نجد صداه في شعر ابن الابار أيضاً.

حقيقة يحاول د. إحسان عباس الباس ذلك الغزل نظرة دينية ولا نجد صدى تلك النظرة في هذه الأشعار إنما هي محاولة من الشاعر من التغني بنفسه بثوب جديد فلنلحظ قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٧):

أردت توسيده خدي وقل له ... فقال كفك عندي أفضل الوسدِ
فبات في حرمٍ لا غدر يذعره ... وبت ضمأن لم أصدر ولم أرد

أنه تعبير في ظاهره عن سمة أخلاقية اجتماعية وفخره بنفسه على الطريقة الاندلسية.

٢- الوصف:

لقد قدم البحث موضوع العفاف عند المقدرة على موضوع الوصف مع أن الاول لا يأتي إلا بعد الثاني ذلك لأن العفاف عند المقدرة يمثل الجانب الاخلاقي والفروسي ويبين الجانب المضيء من الشخصية الاندلسية لقد شاع الوصف في الشعر الاندلسي، ونعني بالوصف هنا تحديداً وصف الطبيعة، ولهذا الالحاح على وصف الطبعة أسباب.

فالطبيعة كما يفهمها المترفون حساً صديقة وفيه يحبونها لما تمنحه من جمال، وقد كان لجمال بيئة الاندلس وما حوته من طبيعة خلابة أثر أن مشغف بها القلوب وهامت بها النفوس... ولم يكن جمال الطبيعة هو وحده الذي ساعد على ازدهار شعر الطبيعة، بل أن الحياة اللاهية والتي عاشها الشعراء كانت سبباً لهذا الازدهار. إذ كانت الطبيعة مسرح حياة الشاعر اللاهية (الركابي، ١٩٦٦: ١٢٤-١٣٠) إن وصف الطبيعة لم يكن جديداً على الادب العربي فقد عرف العصر العباسي افتناناً في هذا اللون من الوصف ولاسيما عند الحلبيين بل أنهم ظلوا أولاداً أوفياء للبيئة المشرقية كما يذهب إلى ذلك د. مصطفى الشكعة (الشكعة، ١٩٧٩: ٢٥)، لكن د. جودت الركابي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

يرى أنه على الرغم من أن شعراء العصور العباسية وضعوا مفاتن الطبيعة بدقة وإعجاب لم يكونوا ليستطيعوا الاندماج بها والتعبير عن خفايا شعورهم نحوها لذلك نزعوا إلى الوصف المادي والعبث اللفظي متأثرين بتيار التأنق والصنعة الذي ساد آنذاك ثم اشتدت وطأته في عصور الانحطاط حتى قضى على الروح العفوية في الشعر(الركابي، ١٩٦٦: ١٢٧).

إن النماذج الشعرية التي بين ايدينا لابن الابار توحي بهذا الافتتان بالطبيعة الغناء، بل إن الشاعر يمنح تلك الطبيعة حياة، كما منحته سعادة وهو في ارياضها أنه مدح بتلك الطبيعة التي تحتضن مجالس لهوه وشرابه وتجمعه مع من يحب فيخلع عليها حياة وحركة يجعلها تتكلم وتشعر وتتفاخر وتتباهى.

من الملاحظ في وصف لطبيعة عند ابن الابار أن الشاعر يجمع بين الموضوعات فيه وابرز موضوعين اندمجا مع الطبيعة هما الغزل والخمر، وهذا ما ذهب إليه د. جودت الركابي عندما قال: ((شعراء الأندلس لا يذكرون الطبيعة إلا في رحاب الحب، بل لا يذكرون الحب إلا في رحاب الطبيعة، وهم بهذا يمنحون غزلهم لوناً بهيجاً من الجمال. فالمرأة صورة من محاسن الطبيعة، والطبيعة تجد في المرأة روضة وجنة وشمساً)) (الركابي، ١٩٦٦: ١٢٧).

واتفق د. الشكعة مع هذه النظرة وهذا الرأي فقال: ((ووصف الطبيعة يقترن في أكثر أحواله بفن آخر من فنون شعر المتعة الحسية في نطاق الغزل أو الخمر أو الغلمان)) (الشكعة، ١٩٧٩: ٢٥) وهذان الرأيان متكئان على ما ذهب إليه المقري في نفح الطيب إذ يقول: ((إنهم إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً ومن النرجس عيوناً ومن الآس اصداغاً، ومن السفرجل نهوداً ومن قصب السكر قدوداً ومن قلوب اللوز وسرر التفاح مباسم ومن ابنة العنب رضاباً)) (المقري، ١٠٧٩هـ: ٣٢٣/١).

ومن افتتان الشاعر قوله في النيلوفر(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٦):

إذا النور خص بمدح فما ... لنيلوفر الروض لا يعبد
وأوراقه كعبة من لجين ... توسطها الحجر الاسود

فالشاعر هنا يستمد المعنى الاسلامي فهو يستفهم استفهاماً انكارياً لماذا النيلوفر لا يعبد وفيه كل المعاني الجميلة واللطيفة، بل أنه في البيت الثاني يجعله كعبة على سبيل التشبيه فالمشبه أوراق النيلوفر والمشبه به الكعبة، ويستقصي جميع اجزاء التشبيه والأثر الاسلامي بأن يجعل الاوراق السوداء

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

المخالفة للون الابيض كأنها الحجر الاسود في الكعبة المشرفة. وفي موضع أخر يقصد النيلوفر أيضاً في قوله (ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٥):

كأن نيلوفر الرياض إذا ... ما الليل أدجى أوهم أن يدجي
رومية بضةٌ منعمة ... تضم طفلاً لها من الزنج

بل ويعمد إلى عقد محاورة بين ازهار الروض كما في اقرار النرجس بفضل الورد في قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٠):

طلع النرجس في أكفانه ... قائلاً للورد قد برحت بي
لم تزل تورث جسمي سقما ... مبكياً عيني بدمع الحببِ
كيف خلطت وغلبت على ... سيد الأنوار يا للعجب

وقوله في الاقاح (ابن الابار، ٢٠١٣: ٢٧):

وبركةٍ بالاقاح محدقة ... تخال ريح الصبا بها صبّةْ
يحل فيها الحباب حبوته ... إذ جرت للصّبابَها هبَّةْ

لقد لعبت زهرة الاقاح ببياضها الناصع وما يتوسط نورته من لون ذهبي بخيال الشعراء(الشكعة، ١٩٧٩: ٢٨٨).

إن وصف الطبيعة والازهار عند ابن الابار يأخذ طابعاً موضوعاتياً طاغياً على شعره لكن العناية اللفظية والتزويق المبالغ فيه باللجوء إلى المحسنات البديعية جرد الكثير من الأبيات من العفوية لكن ما يحسب للشاعر انه عكس البيئة الرائعة للإندلس وانعكاسها على الشعراء من خلال المبالغة في وصف الرياض الغناء ومن الميل إلى تزويق الفاظ ذلك الوصف، وفي هذا المجال يذكر الدكتور صلاح خالص: ((إن اشعاره في الحدائق والازهار لا تكاد تختلف عن اشعار ابي عامر وغيره من شعراء العصر الذين حاولوا أن يسبغوا حياة جديدة على أنواع الزهور المختلفة ويحملوها من العواطف والافكار ما يحمله البشر انفسهم، ولكن اغراقهم في الصنعة الكلامية والتزويق اللفظي كان كثيراً ما يجلب اهتمام القارئ إلى الشكل دون المضمون ويعرقل– كما اعتقد تكامل الصورة الشعرية التي يحاول أن يخلقها الاديب ويكاد يخفي مشاعره الحقيقية)) (خالص، ١٩٦٥: ١٦٤).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

ثالثاً: الاساليب الفنية في شعر ابن الابار دراسة تحليلية:

لاشك أن الموضوع المدروس أو المعنى الذي يبتغيه الاديب يخضع لأمور تقنية يجد الأديب فيها وسيلته لأظهار المعاني والافكار، بما تشكل- التقنيات- اسلوب ذلك الاديب وتظهر شخصيته الخاصة به، وهذا لا يعني انفصال الاديب عن واقعه ومجتمعه والامتداد الثقافي لعصره.

والملاحظ على أدب هذه المرحلة الاندلسية وهو مرحلة ملوك الطوائف اتكاء الشعراء على بعض الاساليب البيانية والبديعية بما عرف بالصنعة البديعية واغراق الشعراء تحديداً بتلك الصنعة وهذا ما يحاول البحث استجلاءه من خلال النصوص الشعرية وتحليلها.

الظواهر الايقاعية والصوتية

أ- الجناس

شكل الجناس مهيمناً أسلوبياً على شعر ابن الابار فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده منه.

والشاعر كان واعياً لابراز هذا الملمح لأنه وجد فيه ((ظاهرة ابراز للفرق عبر درجة قصوى من التشابه. أي أنه تعميق للفرق عن طريق تعميق التشابه وعلى محورين مختلفين للفرق والتشابه، الفرق الدلالي، والتشابه الصوتي)) (أبو ديب، ١٩٨٧: ١٠٢).

وعليه فالجناس أحدى تقنيات الايقاع الصوتي الداخلي للعمل الادبي وأحدى أدوات الدلالة للتعبير عن الدلالات المتباينة للفظة أن تقنية الجناس الصوتية تعتمد بالدرجة الاساس على مبدأ التكرار بمشابهة اللفظين شكلاً واختلافهما معاً.

ويرى د. محمد عبد المطلب أن أثر الجناس في البنية الايقاعية يتحدد بمستويين:

أ- الأول المستوى السطحي ويتصل بحاستي السمع والبصر، فبحاسة السمع يمكن تتبع ايقاع الاحرف عند تجاوزها وبالثانية يمكن تتبع رسم الحروف وما بينهما من توافق أو تخالف.

ب-الثاني وهو المستوى العميق، والذي يتحرك الذهن من خلاله للبحث عن نقاط ارتكاز تتشابه على مستوى الصياغة وتختلف على مستوى الدلالة (عبد المطلب، ١٩٩٧: ٣٧٣).

وعمد الشاعر إلى الجناس بتفريعات متعددة منها الجناس التام، وهو أن لا يتفاوت المتجانسان في اللفظ (السكاكي، ١٩٣٧: ٢٠٢) من ذلك قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٣):

كأن الصبح كشف به جيوباً فغادر فيه ازرار الجيوب

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

فأنت تلحظ أن الجناس وقع بين (جيوب) في الشطر الاول والجيوب في أخر الشطر الثاني، وتلاحظ أن الشاعر لم يغير في شكل اللفظتين سوى في التنكير والتعريف، فجيوب الأولى تعني التعرجات والثاني (الجيوب) تعني الثوب، فبنية الجناس التام هنا اعتمدت التماثل السطحي من خلال تشابه اللفظتين شكلاً، والتخالف في العمق عن طريق الاختلاف في الدلالة وبذلك قدم لنا جناساً مستوفياً (العلوي، ١٩١٤: ٢/٢٥٦).

ويقول في موقع أخر(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٨):

صاد الزمان ووغله صاد	**بمدامة لم تعد مولد عاد**
وما ترى ثغر الثرى مبتسماً	**لك عن مراد مونق ومراد**
الحاجب المحجوب طاهر عرضه	**بندى جوادٍ في الرهان جواد**
صلتان مازالت حداد سيوفه	**وقناه تكسو الشرك ثوب حداد**

فالملاحظ أن هذه الابيات قائمة على الجناس والجناس التام وهذا الاتكاء والمبالغة تصور في أحد جوانبها مقدرة شعرية، وتمثل في الجانب الآخر ابتعاداً عن العفوية والتلقائية في الشعر وتحقق الجناس في ((صاد بمعنى فعل الأمر بمعنى دارِ أو أرعى)) وبين (مَراد، ومرادَ) الأولى بمعنى العنق والثانية بمعنى المرتفع الناعم أو الأملس (فيكون المعنى عنق ناعم أملس) وبين ((جوادٍ، وجواد)) فالأولى بمعنى الكريم، والثانية بمعنى الفرس السابق، وبين ((حداد، وحداد)) فالأولى بمعنى القطع والثانية بمعنى لون الحزن أي اللون الاسود.

ويمكن أن نحقق التشابه السطحي والتخالف العميق بالمخطط التالي :

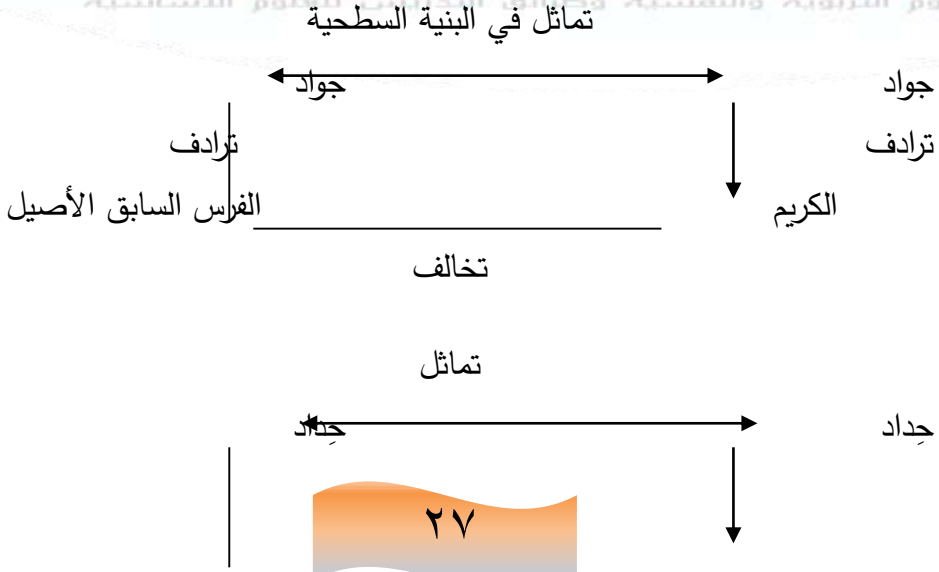

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

ترادف ترادف

قاطعة وحادة _____ لون الحزن وهيئته

تخالف

فحقق الجناس غايتين الأولى على صعيد الايقاع الموسيقي من خلال تكرار وحدات صوتية متماثلة منسجمة في عدد الحروف واصواتها وحركاتها، والأخرى على الصعيد الدلالي من خلال اختلاف معاني تلك المتشابهات، وفي هذا الجانب يحيل إلى التضاد أو الطباق المعنوي في راعي وقد يعمد الشاعر إلى الجناس المصحف كما في قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٤٦):

لعمرك أن الضبي غير غريرٍ وأن محب البدر غير منير

فتجانس (غير) بمعنى النفي، والغرير قليل الحيلة وأن اللفظتين قامتا على نفس الجذر اللغوي ((غ، الياء، الراء)) لكن الشاعر قدم واخر في اللفظة الثانية مجانساً ليحقق دلالة ايقاعية صوتية.

ويعمد إلى الجناس الناقص كما في قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٤٧):

إذا لم أقل الابراح وراحةٍ فما قدر ذنبي في اغتفار قدير

فلا فرق بين ((براحٍ، وراحة)) سوى حرف الباء والتاء وقوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٤٧):

راق الرياض بزهرة وزهوه فتحيرت في معجب بل معوزِ

فلا فرق بين ((زهره، وزهوه)) من حيث الشكل إلا بحرف واحد هو (الراء، الواو) فالزهر هو النبت المعروف، والزهو هو الاعتداد بالنفس. وقوله من ذات المقطوعة:

عاقرت من طرب عليه عقارة صفراء تغري للنحول واعتزي

ويعمد إلى الجناس الاشتقاقي كما في قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٥٦):

قهوة رقت وراقت كأبي عمرو الرائق خلقها وخلق

فقد جانس بين (رقت) من الرقة، و(راقت) بمعنى (الحسن) أي (حسنت)، وجانس من خلقها، وخلق، فالأولى بمعنى الاخلاق، والثانية بمعنى الشكل أو الهيئة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

وقد يجانس مجانسة تامة لكن الاختلاف يقع في الحركة كما في قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٥٨):

وهـدبـهـا مسـتـبـطـن في ورق مـن الـورق

فالورق الأولى مفتوحة الراء بمعنى ورق الأزهار والأوراد، والورق الثانية بكسر الراء بمعنى الفضة كناية عن اللون الابيض. وقد يجانس بتصحيف النقط كما في قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٢):

عـذلوا ولو عـدلوا أو اسـطـاع الهوى نـطـقـاً لـكـان الـعـاذل الـمـعـذولا

فقد جانس بين (عذلوا)) من اللوم، وبين ((عدلوا)) بمعنى الانصاف والعدل ولا فرق بين اللفظتين سوى النقطة وفي موضع آخر يقول(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٤):

عـذراء تـعـبـق شـمـاً وأنـت تـعـبـق شـيـمـه

فالجناس بين الشم الرائحة والعطر، والشيم الصفات النبيلة.

وهناك كثير من النماذج والانواع الأخرى من الجناسات التي تدلل على ثراء المعجم اللغوي للشاعر ورهافة الحس والذوق وإن لم نعدم وجود التكلف والتصنع في تلك الجناسات ويؤشر هذا الالحاح على الجناس وسيلة من وسائل الشاعر على خلق ايقاع داخلي يوازي الايقاع الخارجي، بل ومتعاضد معه في منح اللغة الشعرية خصوصيتها وسمتها الثرة.

ب- رد العجز على الصدر:

يعد هذا المهيمن من ابرز الوسائل الإيقاعية التي يلجأ اليها الشعراء في خلق نوعٍ من التوازن الموسيقي لأنه يضفي درجة عالية من الموسيقى الخفية.. كما تكثف لمعنى داخل الاطار الموسيقى.

وحدّه في كتب البلاغية ((رد اعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه ابهة ويكسوه رونقاً، وديباجة، ويزيده مائية، وطلاوة)) (القيرواني، ٢٠٠٦: ٣/٢) وجاء هذا الملمح البديعي على وفق الانواع التي قسمها البلاغيون، فإذا نظرنا إلى قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٤٠):

لسـت بصـابٍ إلـى مـعـذر بـل إنـا فـي حـبـه مـعـذر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

فرد (معذر) في أخر البيت على أخر كلمة في الشطر الاول.

وقوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٤٢):

ما در در الغمام منتشراً إلا انتحى الروض نظم ما ينشر

فقد رد ما ينثر على منتشراً.

وقوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٠):

كذي دلالٍ لم يستطع ارقا فنام والنور واصل ارقه

فقد رد أخر كلمة في البيت على آخر كلمة في الشطر الأول.

وقد يعمد إلى رد العجز على الصدر عندما تكون الكلمة الأولى في أول الكلام والثانية في آخره كقوله (ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٢):

عذلوا ولو عدلوا أو اسطاع الهوى نطقاً لكان العاذل المعذولا

فأنت ترى الرد بين (المعذول، عذلوا) وكان لتكرار حرف العين أثر كبير في اغناء الايقاع الموسيقى وذلك التحول من جهة العذل إلى جهة من توجه له العذل اثر في انتشاء المتلقي بهذا التلاعب الجميل.

وقد يعمد إلى أن يرد العجز على ما يوافق بعض كلام في أي موضع كان كقوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٩):

روض يظل اللحظ يعبد حسنه كعبادة العليا بني عباد
يزهي المحافل والجحافل منهم أسنى عميد للورى وعماد

فهو رد عباد على بعض ما وافقه من الفاظ مثل (عبادة) يعبدا ورد عماد على عميد

ويقول في موضع أخر(ابن الابار، ٢٠١٣: ٥٥):

وضممت ناعم عطفه ضم المضاف إلى المضاف

ج- التصريع

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

وهو من الملامح الايقاعية التي شكلت ظاهرة في شعر ابن الابار.

التصريع وهو عبارة عن استواء آخر جزء في الصدر وآخر جزء في العجز في الوزن، والاعراب والثقفية (ابن أبي الأصبع المصري، ١٩٣٦: ٣٠٥/٢) ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على قوة الطبع وكثرة المادة إلا أنه إذا كثر دل على التكلف(القيرواني، ٢٠٠٦: ١٤٣/١). وقد سمي المصراعان بمصراعي الباب (الصعيدي، ١٩٦٩: ١٨٠).

وقد شكل هذا الاتكاء ظاهرة اسلوبية ايقاعية في شهر ابن الابار من ذلك قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٤):

بـــالله كـــيـــف الـــنـــديـــمـــة يـــاذا الســـــجـــايـــا الـــكـــريـــمـــة

وقوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٧):

يـــا مـفـصـــح الـكـف والـلـســـان بـــالـــطـــول طـــوراً وبـــالـــبـــيـــان

فهو صرع بين ((النديمة، والكريمة)) في البيت الأول وبين ((اللسان، والبيان)) والملاح أن التصريع يكون على ذات الاشتقاق اللغوي ((اللسان ← الفعال)) البيان← الفعال) أو (قديمة← فعيلة. كريمة ← فعيلة) بما يحقق انسجاماً اشتقاقياً ويخلق ايقاعاً يثري النص الابداعي. ويقول(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٠):

ونـاصـــع اللون اســـود الحـدقـة جـفـونـه بـالـعشـــاء مـنـطـبـقـة

فصرع بين ((الحدقة← فعلة ومنطبقة ← منفعلة وصرع في قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٥٦):

نـطـق الـعـود فـعـاتـب مـن نـطـق واصـــطـبـحـهـا مـزةً أو فـاغـتـبـق

وقوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٥٤):

ومـــنـــعـــمٍ غـــض الـــقـــطـــاف عـــذب الـــغـــروب لـــلارتشـــاف

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

وتكثر هذه الظاهرة في شعر الشاعر بشكل لافت لنظر المتلقي فهي تنبي من جهة على ابداع الشاعر في خلق موسيقى نصه ويدلل على التكلف والتصنع إن الح الشاعر على استعماله والمبالغة في الاتكاء عليه من جهة ثانية .

د- التدوير

ومن الملامح الموسيقية المهمة التي وقع نظر البحث عليها هو التدوير وهو تعالق حروف اللفظة الأخيرة من الشطر الأول مع أوائل الكلمة الأولى من الشطر الثاني أو هو اشتراك شطري البيت في كلمة واحدة يكون جزءاً منها في الصدر والجزء الآخر في العجز، إن الملمح الأسلوبي الموسيقي الفاعلية الثرة على إلغاء الثنائية الجزئية للنص الشعري، وخضوعه إلى وحدة مترابطة، ومتماسكة الأجزاء (الهاشمي، ١٩٧٣: ٢١).

وقد شاعت هذه الظاهرة في شعر ابن الآبار، بما يوحي لقارئ أشعاره إن هناك تدفقاً من المشاعر غير المتوقفة يحاول الشاعر التعبير عنها من غير الاهتمام لتقنية اكتمال الشطر الأول للبدء بالشطر الثاني، فكانت الألفاظ المتعالقة داخل شطري الأبيات تعبر عن تلك الأفكار والمشاعر بشكل متواصل ليلتقط الشاعر أنفاسه في آخر الأبيات، هذا من ناحية، ومن ناحية إن ظاهرة التدوير أعطت إيقاعاً متصلاً غير منقطع متوائماً مع السياق الدلالي، ومن الأمثلة على ظاهرة التدوير في شعر ابن الآبار قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٥٤-٥٥).

قد صبغ من در الجما ... ل وصين في صدف العفاف
وسقته أندية الشبا ... ب بمائها حتى أناف
فتروضت عنه الريا ... ض وسلفت منه السلاف
لما تصدى للصدو ... د ومال نحو الانحراف
هيأت من شركي له ... فعل اللطاف من الظراف

هذه خمسة أبيات أربعة منها حملت ظاهرة التدوير بما خلق انسجاماً معنوياً دلالياً وموسيقياً للنص الشعري.

ومن ذلك أيضاً قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٥):

فتلك عندي والعو ... د لا نديما جذيمه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

وقوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٣):

إن كانت الأسد الضواري لا تخـ ـــــاف صياله فلم اتخذن الغيلا

فجعل آخر حرف من الشطر الأول في أول الشطر الثاني لتدقق مشاعره وحديثه عن شجاعة الممدوح.

ويقول(ابن الابار، ٢٠١٣: ٥٤):

كأنما السوسن الغض منظراً حين يلحظ

وقوله (ابن الابار، ٢٠١٣: ٣١):

فضله فضل ابن عباد أبي الـ قاسم القاضي قريع العرب

وهكذا أضفى التدوير مسحة عالية من الجمال على أبيات ابن الآبار واستوعب مشاعره المتدفقة غزلاً ومدحاً.

الصورة الشعرية

أ- التشبيه

فيما مضى من البحث تم تسليط الضوء على ظواهر إيقاعية موسيقية غلبت على شعره وقدمناها لأن الشاعر بالغ في الاتكاء عليها، أما في هذا الجانب سنلحظ الشاعر في تقديم صوره الفنية يلجأ إلى التشبيه الذي أعده حقيقة مطية الشعراء في الوصول إلى متلقيهم وتقديم صورهم الحسية أو المعنوية، ولأن الشاعر كما قدم البحث غارق في الطبيعة وصاف لها في أغلب الموضوعات التي تناولها فهو قدم تشبيهات تتوائم وتلك الطبيعة الخلابة التي تميزت بها الأندلس. فابن الانبار يلجأ للتشبيه لأنه (الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى) (القزويني، دون تاريخ: ١٢١).

لقد ألح الشعراء العرب وابن الآبار منهم على التشبيه تيقناً منهم أن التشبيه يؤدي وظيفة الفهم والإيضاح وزيادة التأكيد وغاية الإبلاغ المفيدة (مطلوب، ١٩٨٠: ٢٤) .

والقارئ لشعر ابن الآبار يجد إنه لجأ إلى التشبيه بالأدوات أكثر من التشبيه من غير أداة، من ذلك قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٢):

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

وآس كاسمه للهم آسٍ تتيه به قلى الزمن القشيب
ترسل كالغدائر مرسلات بها قطط ونم بكل طيب

فالمشبه هو الآس الزهرة والمشبه به (الاس) اسم تلك الزهرة والاداة الكاف ووجه الشبه أن اسم الآس وشكله هم مجليان للهم يسعدان النظر.

وشبه زهرة الآس بالضفائر المرسلات المعقوصة ويقول في موضع آخر(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٨):

وبنفسج الروض الاغر كأنه في حسنه لعسٌ عليه باد
لا بل كأجنحة الفراش تآلفت نسقاً وقد خضبت من الفرصاد

وفي البيت الأول لجأ إلى الأداة كأن وهي أبلغ في التوكيد لأنها مكونة (من الكاف، وأن) فشبه البنفسج بالشفاه التي يخالطها سواد وهو من الصفات المستحسنة في لون الشفاه وهو ما جعل الشاعر يضمنه وصفه البنفسج لتقارب صورة الشفاه يخالطها سواد والبنفسج يتألف من لونين يشكلان تجانساً رائعاً ولم يكتف الشاعر بذلك بل عمد إلى تشبيه البنفسج بمشبه به آخر وكأنه لا يحسن الظن بفهم القارئ أو إنه يشعر أنه لم يستطع تقديم صورة متكاملة للمشبه فيقول (ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٨):

لا بل كأجنحة الفراش تآلفت نسقاً وقد خضبت الفرصاد

في الصورة الأولى قدم تشبيهاً مستمداً مما يجند ويحب في شكل المرأة العربية وهو شائع في الشعر العربي القديم لكنه سرعان ما غادر ذلك التشبيه التقليدي ليستمد صورة أخرى منتزعة من قلب البيئة الاندلسية بالرياض والتي تحوم فيها الفراش الجميل بأجنحته المتناسقة الألوان المختلطة مع بعضها مشكلة لوحة رائعة من الألوان فشبه زهرة البنفسج بأجنحة الفراش المتآلفة النسق اللوني لكن المفارقة إن ذلك النسق اللوني قد خضبت بلون آخر هو لون التوت كناية عن اللون الأحمر.

فالمشبه هو زهرة البنفسج والمشبه به هو أجنحة الفراش والأداة الكاف ووجه الشبه مخالطة الألوان وتناسقها مع التركيز على اللون الاحمر الغامق الذي يؤدي إلى دلالات لونية ثانوية ويقول في موضع آخر(ابن الابار، ٢٠١٣: ٤٢):

حدائق بل كأنها حدق تهجع طوراً وتارة تسهر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

شـبه الحدائق الغناء بحدقات العيون عن طريق أداة التشـبيه (كأن) ووجه الشـبه بينهما إن هناك أزهاراً وأوراداً تتفتح في الصـباح وأخرى لا تتفتح إلا في المسـاء ففي هذه الحدائق والرياض أشكال متباينة تشبه حدقات العيون حين تنام مرة وتسهر مرة أخرى.

وفي موضع آخر يعمد إلى التشبيه المتعاضد مع الجناس، ليقدم صورة شجاعة للأندلسيين فيقول(ابن الابار، ٢٠١٣: ٤٨):

خـيـل كـامـثـال الاجـادل فـوقـهـا لـيـسٌ غـطـارف عـامـدون لـلـيـس

فقد شبه خيولهم بالصقور عن طريق الأداة الكاف من باب حاسة البصر وسرعة الانقضاض، وشـبه الجنود بالأسـود حاذفاً الأداة وشـبه جند الاعداء بالديوث الجبان الذي لا يغار ولا يدافع عن عرضـه، حاذفاً الأداة أيضـاً ومجانسـاً بين (الليس) الأولى (الاسـد) والليس (ابن الابار، ٢٠١٣: ٥٠) الثانية الديوث.

ويعمد إلى تشبيه الشقائق بالعذراء المغتضة بكارتها بقوله (ابن الابار، ٢٠١٣: ٥٦):

كـأنـمـا الأرض مـنـهـا فـريـدة مـفـتـضـة

ويعمد إلى التشبيه بالمقلوب فيقول (ابن الابار، ٢٠١٣: ٦١):

قـهـوة رقـت وراقـت كـأبـي عـمـرو الـرائـق خـلـقـهـا وخـلـق

فتلك الخمرة قد رقت وراق شـرابها أي لذ كأنها أبو عمرو (الممدوح) الحاوي الصـفات الخلقية والخلقية ومن تشبيهاته الرائعة قوله (ابن الابار، ٢٠١٣: ٦١):

أعـجـب بـأيـك الـرمـان حـيـن بـدا نـواره الـمـحـتـوي مـدى الـسـبـق
مـثـل أكـف الـدمـى مـحـنّـاه أو كـبـنـان الـحـمـام الـورق
أو كـحـقـاق تـفـتـحـت فـبـدت غـلائـل وسـطـهـا مـن الـبـرق

هذه من أروع تشـبيهات ابن الابار إذ أشـار إليها الحميري في كتابه البديع بقوله : ((ومن التشـبيهات الانيقة والتمثيلات الدقيقة قول أبي جعفر بن الآبار في قول أبي جعفر بن الابار في كما تم هذا النوار)) (ابن الابار، ٢٠١٣: ١٩).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

فقد شبه الشاعر كمائم الرمان مثل أكف الدمى المختضبة بالحناء وجه الشبه اللون الاحمر لون الخضـــاب ولون نوار الرمان، ويعود ليشـــبه ذلك النوار عن طريق حرف العطف (الواو) ببنان الحمام الرقيق وتعد د. هدى شوكت هذا التشبيه غريباً(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٥).

وله تشبيه رائع في وصف النيلوفر يقول فيه(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٦):

كـــأن نـــيـــلـــوفـــر الـــريـــاض إذا ... مـــا الـــلـــيـــل أدجـى أوهـم أن يـــدجـي
رومـــيـــة بضّـــبـــة مـــنـــعـــمـــة ... تضـــــم طـفـلاً لـــهـــا مـــن الـــزنـــج

فشبه شدة بياض النيلوفر عندما يدخل الليل بامرأة رومية بيضاء بضبة منعمة تأكيداً على قضـــية اللون والنعومة لكن هذه الرومية تحتضـــن طفلاً (لها) وليس غريباً عنها هذا الطفل زنجي لا يحمل من صفات أمه اللونية شيئاً بل إن يتضاد معها .

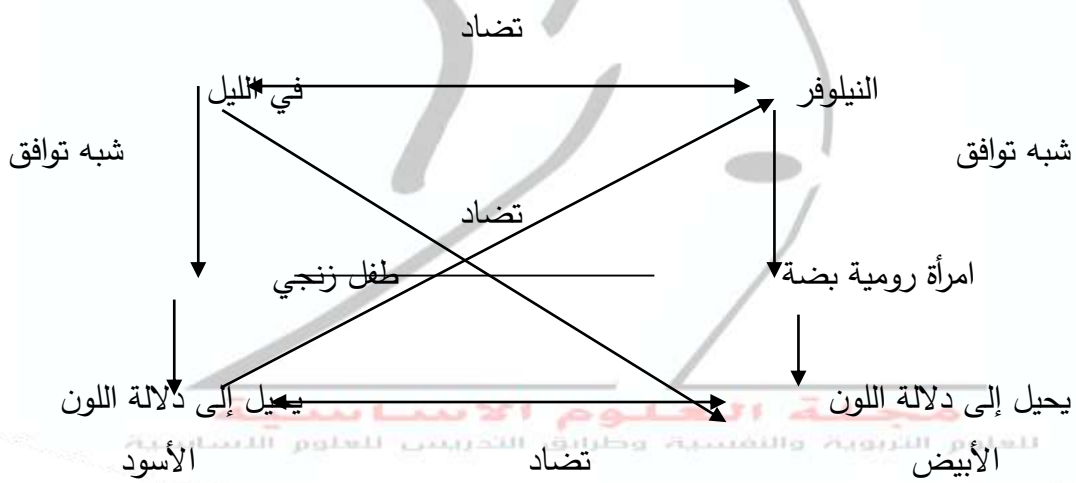

ومن تشبيهاته الرائعة قوله مشبهاً أوراق السوسن (ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٥):

فـــكـــأنـــهـــا أوراقـــه وكـــأنـــه ... بيضٌ سُـــللى لقتـــل جـــانٍ قـــد جنى

فكأنما أوراقه وكأنه بيض سللت لقتل جان قد جنها فقد شبه السوسن وأوراقه بالسيوف القاطعة لاقامة الحد على مذنب قد ارتكب جناية وعمل الشـــاعر على ذكر المشـــبه وهو (الســـوســـن واوراقه) والاداة ((كأنما)) والمشبه به السيوف ((البيض)) حاذفاً وجه الشبه، ولم يكتفِ بذكر المشبه به وإنما ذكر الوظيفة المرادة منه وهو قتل الجاني.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

ويعمد إلى التشبيه من غير أداة كما في قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٦):

هل كان يعصم منه الاعفوه لو أن انمله جرين سيولا

فقد شبه أنامل الممدوح بالسيول الجارية فالمشبه هو الأنامل والمشبه به هو السيول الجارية ((جرين سيولا)) حاذفاً وجه الشبه وهو التدفق والعطاء والسرعة.

وهكذا كان التشبيه أداة الشاعر ووسيلته الفضلى في تقريب شعره إلى ذهن المتلقي وتحريك مشاعره عن طريق تلك التشبيهات المستمدة من واقع البيئة الأندلسية المترفة هذا على صعيد التشبيه.

ب-**الاستعارة** في تحقيق الغاية المرجوة من التأثير في المتلقي والاستعارة بابسط تعريفاتها ((نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غير العرض)) (ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٣).

والاستعارة بأبسط تعريفاتها ((نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غير الغرض)) (أبو هلال العسكري، ١٩٨٦: ٢٩٥).

إن للاستعارة وظيفة مهمة لاكتشاف العلم الداخلي للأديب بكل ما فيه من خصوصية وتفرد، ذلك أن الاستعارة تعمل على إعادة تشكيل جزئيات الواقع فتذيب العناصر الكائنة لتخلق منها كائناً جديداً تتضح من خلاله الرؤية الفنية للأشياء أو المعاناة الانفعالية لصاحبها (العجمي، ٢٠٠١: العدد ٣).

ويمكن أن نلمح ضروب الاستعارة في شعر ابن الآبار من خلال التشخيص وهو اسباغ الحياة الإنسانية على ما لا حياة له كالأشياء الجامدة والكائنات المادية)) (عبد النور، ١٩٨٤: ٦٧) من ذلك قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٢):

والصبح يشهر من سناه صواراً والليل يرفع من دجاه سدولا

فقد جعل الصبح الليل كائنين حيين بأن جعل الصبح رجلاً يشهر السيف على سبيل الاستعارة التشخيصية، ويجعل الليل محركاً ورافعاً أستاراً وسدولاً وعمل الطباق الحاصل بين الصبح والليل على تقزيز تلك الصورة.

وقوله (ابن الابار، ٢٠١٣: ٤٣):

استبشر الدهر بعدما استبصر فراق منه الرواء والمخبر
وجرد الجو ثوب دكنته واكتست الأرض ثوبها الأخضر
وأضحكت عن بديع زهرتها لما بكى الغيث من قبل واستعبر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

أرض تباهي السماء مشرقة بكل نجم من زهرها ازهر

وبالامكان تحليل هذه الاستعارات وتقسيمها هكذا:

١- الدهر
↓
إنسان
↙ استبصر استبشر ↘
الجو
↓
إنسان
↓
نزع ثوب السواد
الأرض
↓
إنسان
↓
لبست ثوبها الأخضر
↓
الأرض إنسان يضحك الغيث إنسان يبكي

فأنت تلحظ أن الشاعر عمد إلى استعارات متعددة تمحورت حول الإنسان وذكر لازمة من لوازمه مثل الاستبشار، والنظر والتباهي، فكانت هذه اللوازم إنسانية كلا أدت وظيفتها المرجوة وعمل التضاد مع هذه الاستعارات المكنية على أثراء النص الشعري كما في ((جرد ثوب دكنته واكتست ثوبها الأخضر فالتضاد بين جرد، واكتسى وبين الثوب والداكن، والثوب الأخضر وبين أضحكت وبكى)).

وقوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣١):

عاطيته الكأس فاستحيت مدامتها من ذلك الشنب المعسول بالبرد

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

فالمدامة وهي الخمرة إنسان يتميز بالحياء فخلع الشاعر صفة من صفات الكائن الحي على ما ليس بعاقل على سبيل الاستعارة المكنية . ويقول(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣١):

لبس الربيع الطلق برد شبابه وافتر عن عتباه بعد عتابه

فالربيع إنسان يلبس وأي لبس ذلك البرد الرقيق الدال على الشباب ويبين عن الرضا بعد أن أبان عن السخط والغضب كناية عن فصل الشتاء ، فالربيع انسان يلبس، ويرضى ويسخط. ويشخص الازهار ويعطيها صفات الكائن الحي من الكلام والحوار وبث شكواه كما في قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٠):

طلع النرجس في أكفانه قائلاً للورد قد برحت بي
لم تزل تورث جسمي سقماً مبكياً عيني بدمع الحبب
إنما اسمي تحت شكواي فلا توقعوني تحت ريب الريب

ويجعل الدهر يقدم الاعتذار عن ذنب أذنبه مع الممدوح فقيقول:

أو ما رأيت الدهر أقبل معتباً متنصلاً بالعذر مما أذنبا

فالدهر شيء معنوي لا يمكن إدراكه فالبسه ثياب، الكائن الحي وجعله مذنباً يقدم حتى يقدم اعتذاره عما أذنب.

ج- الكناية

أما كناياته فقد كانت قريبة الإدراك ولاسيما فيما يتعلق بألوان الخمرة أو لون الأسنان، أو كناية الشجاعة فالكناية ما هي إلا تغليف للمعنى المقصود بستار شفاف ليكشف عن الذهن الواعي بفضل التأمل لسر من الأسرار الفنية التي ينبغي توضيحها عند الكشف عن جماله (لايكوف و مؤنسون ، ١٩٩٦: ٥٥-٥٦).

ومن جميل كناياته التي جمع فيها بين التغرية والتهنئة قوله(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٠):

بالأمس أذوى في رياضك أيكة واليوم اطلع في رياضك كوكبا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

في البيت استعارة وكناية، فالاستعارة بأن جعل الدهر هو من قام بعملية الأماتة والأحياء، أما الكناية ففي قوله (أذوى في رياضك ايكة) كناية عن موت ابنة أبي الوليد إسماعيل بن حبيب وقوله ((واليوم اطلع في رياضك كوكبا)) كناية عن ولادة مولود ذكر لأبي الوليد، وتعاضدت الاستعارة والكناية والطباق القائم بين الأمس واليوم على أثراء النص الشعري المبني على التعزية والتهنئة بنفس الوقت.

ويقول(ابن الابار، ٢٠١٣: ٣٧):

حتى إذا غازلت أجفانه سنة وصيرته يد الصهباء طوع يدي

فجعل النعاس إنساناً يغازل وجعل للخمرة يداً، على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية مكنياً عن الخمرة بدلالة لونها (الصهباء)، ويقول في موضع آخر(ابن الابار، ٢٠١٣: ٤٩):

فإذا كسوناكم حداد مآتم أبنا بصافية الاديم عروس
نسقيكم فخر الردى بصوارم ونعل من خمر المنى بكؤوس

فالبيتان قائمان على كنايتين فالشاعر يكسو الأعداء ثياب القتل والحزن وإقامة المآتم كناية عن القتل والهزيمة للأعداء ويسقيهم ((خمر الردى)) كناية عن الموت بالصوارم كناية عن السيوف القاطعة البتارة، ويشرب هو من خمر المنى كناية عن الانتصار والانتشاء بذلك النصر.

ويقول(ابن الابار، ٢٠١٣: ٤٥):

فافتر عن واضح شنيب فيه لميت الهوينا نشور

فالكناية عن اللون الأبيض للأسنان ((واضح شنيب)).

ويقول(ابن الابار، ٢٠١٣: ٦٨):

مقرطف يبسم عن لؤلؤ رصعه الحسن بمرجان
أنديه من أحورٍ أجفانه نامت لكي تسهر أجفاني
لما بدا في جيده متلعاً قلت لمن قد ظل يلحاني

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

فكنى عن اللون الأبيض باللؤلؤ وهو لون أسنانه وكنى عن اللون الأسود وهو عيونه بالأحور وكنى عن طول رقبته (بالمتلع)

نهاية المطاف:

وبعد فقد كانت هذه الأوراق سياحة رائعة في أروقة شعر شاعر من الطبقة الأرستقراطية فكان شعره صدى لتلك الطبقة من بيان للجانب الفروسي في التعامل مع المرآة من خلال عفافه عند مقدرته، وفي جانب الاطفة والمبالغة في وصف البيئة الطبيعية للأندلس من أزهار وأوراد ونواوير، ولم يمدح الشاعر هيبة، وتكسباً كما فعل غيره من الشعراء وإنما كان مدحه لحفظ المكانة عند الممدوحين ولحفظ الوداد لذلك لم يشكل المدح ظاهرة في شعره، وتوسل الشاعر بأساليب فنية متعددة لتحقيق المتعة من اللذة لدى القارئ والوصول إلى أبعد تأثير في نفسه فعمد على الاتكاء على المحسنات البديعية فبالغ في الاتكاء على الجناس ورد العجز على الصدر والتصريع، ومال إلى التدوير لاستيعاب مشاعره وتمتعها من غير أن يوقفه حاجز الشطرين، ومال على أساليب البيان فشكل التشبيه بأشكاله المختلفة مطيته التي قادته إلى القارئ.

لا نقول إن الشاعر جدد ولكن أبدع فيما قال.

مصادر البحث ومراجعه :

١. ابن أبي الاصبع المصري (١٣٦٠هـ): تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القران، تحقيق: د. حقي محمد شرف، القاهرة.
٢. ابن أبي ربيعة (١٩٨٣): شرح ديوان عمر تحقيق محي الدين عبد الحميد دار الأندلس للطباعة والنشر، لبنان ، الطبعة الثانية.
٣. ابن الأبار، أبي جعفر بن الآبار، أبي عامر مسلمة، أبي بكر بن القوطية، ابن ليون التجيبي (٢٠١٣): دواوين شعرية لشعراء أندلسيين ، دراسة وتحقيق: أ.د. هدى شوكت ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الأردن ، الطبعة الأولى.
٤. ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ)، (١٩٨٩): الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني.
٥. ابن حزم (ت٢٥٦هـ)، (١٩٨٠): طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: صلاح الدين القاسمي دار بوسلاف، تونس.
٦. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨- ٦٨١)، (٢٠٠٩): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، اعتنى به مكتب التحقيق اعد فهارسها رياض عبد الله عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان ، الطبعة الثانية.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

٧. أبو ديب، كمال (١٩٨٧): في الشعرية مؤسسة الابحاث العربية بيروت، الطبعة الأولى.
٨. أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـــ)، (١٩٨٦): كتاب الصناعتين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٩. الأنصاري، ديوان الاحواص (١٩٩٨): تحقيق وشرح: د. سعد ضناوي دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى.
١٠. بهجت، د. منجد مصطفى (١٩٨٧) : الادب الاندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة جامعة الموصل.
١١. الحميري، إسماعيل بن عامر (١٩٩٧): البديع في فصل الربيع، تحقيق د. علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق.
١٢. خالص، د. صلاح (١٩٦٥): أشبيلية في القرن الخامس الهجري دراسة أدبية لنشوء دولة بني عباد في أشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
١٣. الخفاجي، ابن سنان (ت٤٦٦هـ)، (١٩٦٩): سر الفصاحة شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ميدان الازهر، مصر.
١٤. الركابي، د. جودت (١٩٦٦): في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
١٥. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت٦٢٦هـ)، (١٩٧٣): مفتاح العلوم/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، الطبعة الأولى.
١٦. الشكعة، د. مصطفى (١٩٧٩): الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الرابعة.
١٧. الشنتيري، ابن بسام (ت٥٤١هـــ)، (١٩٧٨): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
١٨. عباس، د. إحسان (٢٠١١): تاريخ الادب الاندلسي/ ٢ عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الطبعة الأولى.
١٩. عبد المطلب، محمد (١٩٩٧): البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة الأولى.
٢٠. عبد النور، جبور (١٩٨٤): المعجم الادبي، دار العلم للملايين، بيروت.
٢١. العجمي ، احمد (٢٠٠١): الصورة الشعرية وقصيدة النثر، مجلة نزوى، مسقط العدد ٣.
٢٢. العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني (ت٧٤٩هـ)، (١٩١٤): كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز مطبعة المقتطن، مصر.
٢٣. العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـــ)، (١٩٨٨): المسالك والأبصار في ممالك الأمصار إصدار فؤاد سزكين معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت.
٢٤. القزويني، الخطيب جلال الدين (ت٧٣٩هـ) (دون تاريخ): الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع.
٢٥. القيرواني، ابن رشيق (ت٤٥٦هـ)، (٢٠٠٦): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، الطبعة الأولى.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الرابع
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

٢٦. لايكوف، جورج، وجونسون، ومارك (١٩٩٦): الاستعارات التي نحيا بها ترجمة عبد المجيد صحفة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
٢٧. مطلوب، د. احمد (١٩٨٠): دراسات بلاغية ، بغداد .
٢٨. المقري، شهاب الدين احمد بن محمد (١٠٧٩هـــ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، بولاق .
٢٩. نصار، د. حسين (١٩٧٦): ديوان الشعر العذري جمع وتحقيق وشرح ، مكتبة مصر، مصر ، الطبعة الثانية.
٣٠. الهاشمي، السيد احمد (١٩٧٣): ميزان الذهب من صناعة شعر العرب دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية